

تفسير السعدي

@ 426 @ وفي الآخرة عند الموت ، بالثبات على الدين الإسلامي ، والخاتمة الحسنة ، وفي القبر عند سؤال الملكين ، للجواب الصحيح ، إذا قيل للميت (من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟) هداهم للجواب الصحيح ، بأن يقول المؤمن : (اﷻ ربي ، والإسلام ديني ، ومحمد نبيي) . ! 2 2 ! عن الصواب في الدنيا والآخرة ، وما ظلمهم اﷻ ولكنهم ظلموا أنفسهم ، وفي هذه الآية ، دلالة على فتنة القبر ، وعذابه ، ونعيمه ، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي صلى اﷻ عليه وسلم ، في الفتنة وصفتها ، ونعيم القبر وعذابه . ! 2 2 ! يقول تعالى مبينا حال المكذبين لرسوله ، من كفار قريش ، وما آل إليه أمرهم : ! 2 2 ! ونعمة اﷻ هي : إرسال محمد صلى اﷻ عليه وسلم ، إليهم يدعوهم إلى إدراك الخيرات في الدنيا والآخرة ، فبدلوا هذه النعمة ، بردها ، والكفر بها والصد عنها ، بأنفسهم . ^ (و) ^ صدهم غيرهم حتى ! 2 2 ! وهي : النار ، حيث تسببوا لإضلالهم ، فصاروا وبالاً على قومهم ، من حيث يظن نفعهم ، ومن ذلك أنهم زينوا لهم الخروج يوم (بدر) ليحاربوا اﷻ ورسوله ، فجرى عليهم ما جرى ، وقتل كثير من كبرائهم وصناديدهم ، في تلك الواقعة . ! 2 2 ! أي : يحيط بهم حرها ، من جميع جوانبهم . ! 22 ! . ! 2 2 ! أي : نظراء وشركاء ! 2 2 ! أي : ليضلوا العباد عن سبيل اﷻ ، بسبب ما جعلوا اﷻ من الأنداد ، ودعوههم إلى عبادتها ، ! 2 2 ! لهم متوعدا : ^ (تمتعوا) ^ بكفركم وضلالكم قليلا ، فليس ذلك بنافعكم ، ! 2 2 ! أي : مآلكم ومأواكم فيها ، وبئس المصير . ! 2 2 ! أي : ! 2 2 ! آمرا لهم بما فيه غاية صلاحهم ، أن ينتهزوا الفرصة ، قبل أن لا يمكنهم ذلك : ! 2 2 ! ظاهرا وباطنا ! 22 ! أي : من النعم التي أنعمنا بها عليهم ، قليلا أو كثيرا ! 2 2 ! ، وهذا يشمل النفقة الواجبة ، كالزكاة ، ونفقة من تجب عليه نفقته ، والمستحبة ، كالصدقات ونحوها . ! 2 2 ! أي : لا ينفع فيه شيء ، ولا سبيل إلى استدراك ما فات ، لا بمعاوضة بيع وشراء ، ولا بهبة خليل وصديق ، فكل امرء له شأن يغنيه ، فليقدم أعماله ، ويحاسب نفسه ، قبل الحساب الأكبر . ! 2 2 ! ! 2 2 ! يخبر تعالى : أنه وحده ! 2 2 ! على اتساعهما وعظمهما ، ! 2 2 ! وهو : المطر الذي ينزله اﷻ من السحاب ، ! 2 2 ! أي : بذلك الماء ! 2 2 ! المختلفة الأنواع ! 2 . ! 2 ! ورزقا لأنعامكم . ! 2 2 ! أي : السفن والمراكب ، ! 2 2 ! فهو الذي يسر لكم صنعتها ، وأقدركم عليها ، وحفظها على تيار الماء ، لتحملكم ، وتحمل تجارتكم وأمتعتكم ، إلى بلد تقصدونه . ! 2 2 ! لتسقي حروثكم وأشجاركم ، وتشربوا منها . ! 2 2 ! لا يفتران ، ولا ينيان ، يسعىان لمصالحكم ، من حساب أزمנתكم ومصالح أبدانكم ، وحيواناتكم ،

وزروعكم ، وثماركم ، ! 2 2 ! لتسكنوا فيه ! 2 2 ! مبصرا ، لتبتغوا من فضله . ! 2 2
! أي : أعطاكم من كل ما تعلقت به أمانكم وحاجتكم ، مما تسألونه إياه . بلسان الحال ،
أو بلسان المقال ، من أنعام ، وآلات ، وصناعات وغير ذلك . ! 2 2 ! فضلا عن قيامكم
بشكرها ! 2 2 ! أي : هذه طبيعة الإنسان من حيث هو طالم متجرء على المعاصي ، مقصر في
حقوق ربه ، كفار لنعم الله ، لا يشكرها ولا يعترف بها ، إلا من هداه الله ، فشكر نعمه ، وعرف
حق ربه ، وقام به . ففي هذه الآيات ، من أصناف نعم الله على العباد ، شيء عظيم ، مجمل ،
ومفصل ، يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره وذكره ، ويحثهم على ذلك ، ويرغبهم في
سؤاله ودعائه ، آناء الليل والنهار ، كما أن نعمته ، تتكرر عليهم ، في جميع الأوقات . ^
(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن
أضلن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم * ربنا إنني أسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس
تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا * ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما
يخفي على الله من شيء في الأرض ولا في السماء * الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل
وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء * رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * ربنا
اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ^ أي : (و) ^ اذكر إبراهيم ، عليه
الصلاة والسلام ، في هذه الحالة الجميلة ، ^ (إذ قال رب اجعل هذا البلد) ^ أي : الحرم
! 2 ! ، فاستجاب الله دعاءه شرعا وقدرًا ، فحرمه الله في الشرع ، ويسر من أسباب حرمة ،
قدرًا ، ما هو معلوم ، حتى إنه لم يرد طالم بسوء ، إلا قصمه الله كما فعل بأصحاب الفيل
وغيرهم . ولما دعا له بالأمن ، دعا له ولبنيه بالإيمان فقال : ! 2 2 ! ، أي : اجعلني
وإياهم ، جانبا بعيدا عن عبادتها ، والإلمام بها ، ثم ذكر الموجب لخوفه عليه وعلى بنيه
، بكثرة من افتتن وابتلي بعبادتها ، فقال :